

## الآبار في الصحراء

عندما نتكلم عن الآبار فإننا نشير إلى تلك الحفر أو الثقوب السطحية أو الأنفاق العمودية التي توصل إليها الإنسان عبر العصور للتحكم في المياه الجوفية، فساعدته على تأمين موارده من هذه المادة الحيوية. فبعد أن كان يعتمد على ما تجود به السماء من ماء تسيل به مجاري الأودية الموسمية، أصبح يستغني عنها شيئاً فشيئاً نظراً لقلتها وعدم انتظامها في الزمان والمكان، فهناك سنوات مطيرية وأخرى عجافية. ونظراً لعدم ضمان التزود المستمر من هذه المادة الأساسية، فقد فضل الإنسان أن يتحكم في المخزون الباطني وذلك بحفر آبار قريبة من مسكنه أو قريته لكي يتزود بشكل مستمر بدون اللجوء إلى مياه غير مضمونة طوال السنة.

أما في المناطق القاحلة والصحراوية، فالماء يشح والأمطار قليلة وتكاد تنعدم في سنوات الجفاف الممتدة، لهذا كان لزاماً على ساكنة هذه الصحاري أن تلتجأ إلى باطن الأرض للتزود بالماء وضمان أمنها المائي في منطقة منفرة وشديدة الحرارة لا تلبى حاجيات البشر من هذه المادة الحيوية.

ولهذا فالآبار تمثل النقط الحيوية في الصحراء، فهي تمثل مراحل ضرورية للتزود بالماء وورود الحية (أي القطيع وخاصة الإبل والبقر والمعز) ونصب الخيام والاستراحة من عناء السفر، فكانت هذه المراحل تحمل غالباً اسم البئر أو الحاسي، وعلى سبيل المثال نجد (البيرلحلو) و"بئر أنزران"، و"بئر كندور" الخ، كما أن لهذه الآبار الفضل الكبير في رسم مسالك الطرق التجارية، فلولاها لما وجدت هذه الطرق في وسط قاحل.

ويمكن أن نميز في ثقافة الرحل بين "البير" و"الحاسي" و"العلكة"، فالبير أو البئر هو أكبر قطراً واتساعاً من الحاسي تتوسطه خشبة متفرعة تحمل بكاراً من الخشب أو الحديد تسمى بالحسانية "التين" تخرقها خشبة تدعى "اشركنا"، أما الحاسي فقطره في غالب الأحيان لا يتجاوز 40 إلى 50 سنتيمتر ولا تتخلله خشبة كالبئر. أما بالنسبة "للعلكة" فهي مجموعة من الحسيان وعمقها قريب من سطح الأرض وهي مؤقتة زمنياً نظراً لتوفرها على فرشاة مائية غير سديمة، وتستعمل كذلك كلمات تحدد بشكل وجيز دقيق وعمق نقط جلب الماء، و"تورطه" وهي أقل عمقا من "أشكيك" وأقرب نقطة إلى السطح. أما البحث عن نقاط الماء فيتكلف به شخص يطلق عليه "البواه" le sourcier ويتكلف كذلك بالبحث عن مراعي الكلاً للرعاة.

-آبار جهة العيون-بوجدور، الساقية الحمراء:-

تضم الجهة عدة آبار، لكن تغلب عليها شدة الملوحة، إلا أنها تنفرد بآبار ذات مياه عذبة تعد على الأصابع.

إقليم العيون: بئر عين النخلة، بيار فم الواد، بئر غريبيل، بئر القطيظيرة، بئر دورا، حاسي التويريدين، وحاسي سيدي بوزيد، الخ.

إقليم بوجدور: حاسي بوجدور، بئر توف، بئر أوفسيت، حسيان أريدال، حاسي حاسي توزنين، حاسي القيلة، حاسي التيسونين، حاسي المريرة حاسي تيكري، حاسي عباس، بئر بوكريزيمه، حاسي اموكة، حاسي بن حمو، حاسي بوكربة، الخ.

### -آبار جهة واد الذهب- لكويرة:

جل هذه الآبار يتميز بشدة ملوحته، وتقل الآبار ذات المياه العذبة والصالحة للشرب.

إقليم واد الذهبي: بئر كندوز، بئر تشلا، بئر انزران، بئر بوكفة، حاسي العلب، بئر الجلوي، بئر معطى الله، بئر ولد سيدي محمد، بئر تاشكتنت، حاسي امليلي، بئر تيدماك، حاسي واد الغول، حاسي بوخيبيية، حاسي توف، حاسي اتمود، الخ.

إقليم أويرد: بئر زوك، بئر المامي، بئر دومس، حاسي اوسرد، بئر أغيلاس، بئر حبادو، حاسي أيك.

حاسي لعنتيابي، بئر بولرياح، بئر بوكفة، بئر جلوى، بئر أولاد الحاج، بئر سلا وريش، بئر اغوينيت، الخ.

### آبار إقليم السمارة:

كمثيلاته في الجهات الأخرى يغلب عليه شدة الملوحة وقلة المياه العذبة.

بئر لحو، بئر حوزة، بئر الجديرية، بئر الفرسية، بئر تفاريتي، بئر الرغيوه، بئر وزمزانة، حسيان املكة، حاسي الحوصة، حاسي الفوار، بئر سدوم، بئر توفليت، بئر تكة، بئر العرف، بئر التسميل، الخ.

ونورد مواقع أهم الآبار المشهورة بالصحراء، خاصة منها الذي تعدى اسمه مجال قطر البئر الضيق، كمر واجب للقوافل التجارية المحملة بالذهب، ومنهم من شهد معارك ضاربة بين القبائل الكبرى، بل منهم من أصبح في الوقت الراهن جماعة قروية تحمل اسم البئر، ولهذا سنكتفي بذكر أهمها :

-بئر كندوز: يقع هذا البئر التاريخي بالقرب من الحدود الموريتانية الجنوبية على بعد 125 كلم من شبه جزيرة لكويرة، وهو تابع لإقليم واد الذهب، وأصبحت الجماعة القروية حاليا

تحمل اسمه. ويوجد في مستوى طبوغرافي منبسط تتخلله كثبان رملية تحيط به من كل جانب هذا البئر له وزن تاريخي، بحيث ارتبط عبر التاريخ بتجارة القوافل المحملة بالذهب(التبر)، التي ربطت الشمال المغربي بدول الساحل وإفريقيا الغربية.

-بئر أنزران: يوجد هذا البئر في الشرق الشمالي لمدينة الدخلة-إقليم واد الذهب-، وفي منطقة تتخللها أودية أهمها واد البيار، وهو كذلك كسابقه له مكانته التاريخية والاستراتيجية، أصبح جماعة قروية تحمل اسم : جماعة بئر أنزران.

-بئر تشلا:

يقع هذا البئر في تيرس ومنطقة تشلا التي تحمل اسمها، عند تقاطع خطي 15 وغربا و21 شمال خط الاستواء، وتنتهي عند هذا البئر جميع الطرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية العابرة للصحراء في اتجاه الشمال المغربي أو الشرق أي سجلماسة عبر منطقة درعة. مياه هذا البئر عذبة وذات صبيب مهم، وتوجد الآن في الحزام الأمني للقوات المسلحة الملكية.

-بئر الزوك:

يقع هذا البئر بين خط الحدود الموريتانية، وإقليم واد الذهب، على مرتفع يصل إلى 490 م فوق سطح البحر عند قدم جبل زوك، ومياه هذا البئر من المياه العذبة، ويبلغ قطره 3أمتار وعمقه يتراوح ما بين المياه العذبة، ويبلغ قطره 3أمتار وعمقه يتراوح ما بين 15 إلى 20م، ولعب دورا هاما في تاريخ القوافل التجارية.

-بئر أوسرد:

يعد من أكبر الآبار في وجهة وادي الذهب من حيث صبيب مياهه، وهو تابع لإقليم أوسرد، بالإضافة إلى موقعه المحوري المتميز في منتصف الطريق بين الشرق والغرب والشمال والجنوب. ونظرا لهذه الأهمية الاستراتيجية اتخذه الاستعمار الإسباني مركزا للمراقبة.

-حسيان أريدال:

يقعان شرق إقليم بوجدور، على بعد 65كلم من مدينة بوجدور، ويحملان اسم السبخة الكبيرة"أريدال" التي يشتركان معها في الفرشة المائية، ولهذا فمياههما مالحة، ورغم الملوحة لعبت هذه الحسيان دورا هاما في تجارة القوافل، بحيث كانت تزود الإبل بهذا الماء المالح"ماء المالح""ماء الحية" وتروي ضمأه قبل الوصول إلى الآبار العذبة في تشلا.

-بئر الفارسية:

من أكبر آبار الساقية الحمراء، مياهه عذبة وترتادها القوافل سابقا والرعاة حاليا. يقع على الحافة الغربية للحمادة، فوق ارتفاع يصل إلى حوالي 650 متر. ويحتل موقعا استراتيجيا بحيث يوجد عند تقاطع الطريقين الرابطين بلين العيون وحمادة تندوف.

-بئر حوزة:

يتبع هذا البئر لإقليم السمارة، وهو يوجد في أعالي واد الساقية الحمراء، وكان في عهد الاستعمار الإسباني مركزا للمراقبة العسكرية نظرا لموقعه الاستراتيجي، وحاليا أصبح إداريا جماعة قروية.

كما لا ننسى ذكر آبار اكتشفت في عهد المعمر الإسباني واستغلها لتزويد ثكناته العسكرية ولتزويد جالياته بالحواضر كالعيون والداخلة (فيلا سيسنيروس) ومنجم بوكراع لاستغلال الفوسفاط. وعمل كذلك على استغلال الفرشة الباطنية المتحجرة أو المستحثة **les nappes fossiles** بتقنيات حديثة وسخرها في المجال الزراعي عن طريق السقي بكل من تورطة و تنيغير بواد الذهب وفم الواد بالعيون. وقام برسم خرائط إحصائية لكل الآبار الموجودة على التراب الصحراوي، وحدد فيها الآبار ذات جودة وعذوبة المياه والآبار المالحة، لكي يتمكن جنوده المرابطون في تخوم الصحراء وكذا المنقبون عن المعادن من التزود بالماء في رحلاتهم.

وبعد استرجاع الصحراء سنة 1975، عملت الدولة على التنقيب المكثف على هذه المادة الحيوية، وسخرت لذلك كل الوسائل لضمان الأمن المائي لهذه المنطقة القاحلة، وخاصة لتزويد الحواضر الجنوبية بالمياه الصالحة للشرب. فهذه المدن شهدت نموا مجاليا لا مثيل له، باتساع رقعتها المدارية وتزايد ساكنتها التي تضاعفت بأكثر من 5 مرات عن ما كانت عليه في الفترة الاستعمارية وقد تم هذا في ظرف وجيز أي ثلاث عقود. فكان لزاما على الدولة أن توفر لهذه الساكنة وحواضرها المتنامية والأنشطة الاقتصادية (الصناعات، الصيد البحري، الفلاحة السقوية، والمعادن : الفوسفاط) والمرافق الكبرى من موانئ ومطارات وحدائق ومنشآت عمومية التي تزايدت احتياجاتها من هذه المادة مما حتم على الدولة حفر الآبار، وبناء أول سد بالصحراء "سد المسيرة" سنة 1995، بل التجأت الدولة مع تزايد الطلب إلى تحلية مياه البحر لتدارك العجز الذي تعاني منه الجهات الصحراوية من هذه المادة، كما قامت الدولة كذلك بحفر آبار جديدة وشيدت صهاريج باطنية "المطفية" في جل التراب الصحراوي وخاصة بجوار المسالك التي يسلكها الرعاة وذلك لتزويد قطعانهم بالماء الشروب. وتدخل هذه السياسة في إطار المحافظة على النشاط الرعوي المتجدد في تقاليد المجتمع البيضاني، والذي ظل لسنوات طوال أهم مصدر رزق الرحل و القبائل الصحراوية على العموم.

ونسجل أن جل هذه الآبار سواء القديمة أو الجديدة منها تتميز مياهها بنسبة عالية من الملح، بدرجة تتراوح من 2 غ الى 9 غرام في اللتر، وهذا حسب نوع الفرشة الباطنية ونوع الصخر السائد والقرب أو البعد من الساحل (باستثناء فم الواد)، وهذا ينطبق على جل الآبار ماعدا بعض الآبار أو الفرشات ذات المياه العذبة التي تعد على الأصابع كفم الواد بالعيون وتشلا ومعطى الله والجلوي بواد الذهب. ونتيجة للاستغلال المفرط لهذه الآبار وخاصة العذب منها فإن أغليبيتها بدأت تفقد عذوبتها بانسياب وتسرب المياه المالحة إلى فرشاتها فأصبحت تعد من الآبار المالحة كالبئر لحلو بإقليم السمارة.

- 
- أنس عمران وبوشتي الفلاح، "البنية ومظاهر السطح بالجنوب المغربي"، مجلة المناهل، عدد 58، مارس 1998، أحمد بن الأمين الشنقيطي، "الوسيط في تراجم أدياء شنقيط"، الطبعة الخامسة، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، مصر، 2002، ابن منذور "لسان العرب"، مطبعة دار الحديث القاهرة، مصر 2003، محمد الغريبي، "الساقية الحمراء ووادي الذهب"، ج1، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء، بدون تاريخ، مولاي ادريس شداد، "إشكالية الماء في الوسط القاحل، وثقافة تدبير الندرة في المجتمع البيضاني"، مقال تمت المشاركة به في ندوة بالعيون "الصحراء ذاكرة الإنسان ما بين 20-21 أبريل 2004، ونشر ضمن منشورات معهد الدراسات الإفريقية مجلة "المغرب الفريقي" عدد7، الرباط، 2006، أحمد الهاشمي "المشهد الطبيعي في الطوبونيميا، المجال الصحراوي" كتاب، الصحراء الاطلنتية: المجال والانسان، منشورات وكالة الجنوب، الرباط 2007، مولاي ادريس شداد وآخرون، "جهة كلميم - السمارة، ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة"، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط 2009، مولاي ادريس شداد وآخرون، "جهة العيون- بوجدور-الساقية الحمراء،" ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة"، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009، مولاي ادريس شداد وآخرون، جهة واد الذهب - لكويرة "ذكرى 12 قرنا في حياة مملكة"، سلسلة تاريخ جهات المغرب، منشورات عكاظ، الرباط، 2009.

Brenneisen.c.m.das ressource potential der westsahara und seine bedeutung fur die etablierung eines neuen staates hannover 1985 caro barojam, julio. Estudios soharianos, Ed Jugar , Barcelona 1990.

Cheddad My Driss et autres, Elements introductifs- Debat national sur l'aménagement du territoire- Regions oued Eddahab-Lagouira , Direction de l'aménagement du territoire de l'environnement de l'urbanisme et de l'habitat , Rabat , Décembre 1999. Cheddad My Driss et autres, Elements introductifs Débat national sur l'amenagement du territoire régions Laayoune Boujdoure- Sakia El Hamra, Direction de l'Aménagement du Territoire, Ministre de l'Aménagement du Territoire, de l'Environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre 1999.

Cheddad My Driss et autres, Eléments introductifs- Débat national sur l'aménagement du territoire- Régions Guelmin-Es Smara, Direction de l'Aménagement du Territoire, de l'environnement, de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, Décembre, 1999.

Cheddad My Driss, « Sahara : écosystème fragile, ressources naturelles limitées et engagement de l'Etat pour un aménagement régional exceptionnel et une mise à niveau socio- économique et spatiale » Revue Horizons Universitaires, n°3 vol.2, Université Mohammed V – Souissi- Rabat, Novembre, 2006.

Comba Ezquerra Juan Antonio, La Invetigacion minera en la provincia del sahara, Archivos Instituto de Estudios Africanos, N° 59, Madrid, 1961.

Vincent, M., la part du berbère dans la toponymie du Sahara Maure, in Hesperis, T 36, 1949 p 205-207.

Vincent, M., Notes sur la toponymie, l'astronomie et l'orientation chez les Maures, in Hesperis, T. 36, 1949, p 189-219.

مولاي إدريس شداد